قضيا قضت معهما تلك الوسيلة التي أتّبعاها.

ان الاسلوب التبشيري، في العمل الانساني، قد يُقوِّمُ فردا أو يهدي انسانا، ولكنه لا يُقوِّمُ مجتمعا ولا يهدي شعبا. ولو كان باستطاعة هذا الأسلوب أن يفي بالمرجو منه لما كان العالم على هذه الحالة التي نشهده عليها.

وإذا عزفنا عن طرح ما نراه حلا لهذه المشكلة، فانما لايماننا بأن مثل هذا الحل يجب أن يأتي عن طريق الشعب بكل القوى والفئات التي يتشكل منها وباسلوب ديمقراطي كامل لا يعزل أحدا ولا يفرض رأيا على أحد بغير قوة الاقناع المبنية على الحقائق الموضوعية والتطلعات الانسانية لبناء مجتمع أفضل في اطار الوطن الواحد.

«البند التاسع: مخاطبة العالم».

تستهل الوثيقة هذا البند بتسجيل اعتراف أركان الجبهة بانه «**كان الغرب في الماضي يفهم حقيقة لبنان وينعطف اليه، أما الغرب الحاضر فلا يفهمها، أو يفهمها ويشيح بوجهه عنها**»، بعد ذلك ترفع الجبهة صوتها طالبة النجدة والاغاثة، مما سنشير اليه كما ورد، بعد التعليق على هذا الاعتراف الذي نشارك الجبهة رأيها في وجوده، ونخالفها في تعليله.

من الطريقة التي عالجت بها الوثيقة قضية «**المجتمعية اللبنانية**» في البند السابق، يتضح بالنص الشاهد، ان الذهنية المسيطرة على فكر الجبهة هي ذهنية القرن التاسع عشر وأول عقدين من هذا القرن الذي أصبحنا على عتبات نهايته.

ان هذه الذهنية التي تصر على فهم «حقيقة لبنان» وكأنها جثة محنطة في تابوت، وليست كحركة دائبة تؤثر وتتأثر في ما يجري فوق هذا الكوكب من تغيرات، تريد – وهذا متوقع – ان تمد فهمها الجامد هذا على أوروبا والعالم كله. وببساطة لا تدعو لأي شرح أو دليل، ان اوروبا اليوم، بل كل عالم اليوم، ليس اوروبا وعالم القرن الماضي، أو حتى ما كانا عليه قبل الحرب الثانية، وما تبع تلك الحرب من متغيرات غيرت الخرائط وبدلت التحالفات، وشابكت بين المصالح والمبادىء.

ان أوروبا والغرب قد تغيرا، العالم كله تغير، وبيارق الطوائف وسناجق الأقليات التي كان البعض يرفعها هنا وهناك تبريراً للتدخلات الأجنبية باسم الحماية وفرض الهيمنة لم تعد مغرية كغطاء للتدخلات الحديثة، كما أن سواريها لم تعد بقامة سواري أكثر أهمية واعتبارا في لغة العصر. من هنا تبدو خيبة أركان الجبهة المريرة عندما توقعت أن أوروبا والغرب سيهبان لنجدتها بعد أول صرخة استغاثة من وراء مكبرات الصوت الطائفية. واذا حرصت بعض الدول على ابداء بعض الاهتمام – على الصعيد الرسمي فقط – فانما لحفظ ماء الوجه واحتراما لذكريات أيام زمان. أما على الصعيد الشعبي في أوروبا، فلا شك أن خيبة الجبهة كانت أكثر مرارة وذلك بسبب هذا الانتشار الواسع للفكر التقدمي الذي تعتبره الجبهة رجسا من عمل الشيطان. فلقد كان لخصوم الجبهة في أوروبا، وحتى في الولايات المتحدة، صداقات أوسع وأعمق، والسبب في جوهره لا يعود لنشاط مبالغ فيه وانما لتقارب اللغة السياسية من أمراض العصر والعقاقير المطروحة لعلاجها.